المعقِد السَّادسَ عشرَ

توقير مجالس العلم، وإجلال أوعيته

فمجالس العلماء كمجالس الأنبياء.

قال سهل بن عبد الله: «من أراد أن ينظر إلىٰ مجالس الأنبياء فلينظر إلىٰ مجالس العلماء، يجيءُ الرَّجل فيقول: يا فلان، أيُّ شيءٍ تقول في رجل حلف علىٰ ٱمرأته بكذا وكذا؟ فيقول: طَلَقَت ٱمرأته، ويجيءُ آخر فيقول: ما تقول في رجلٍ حلف علىٰ ٱمرأته بكذا وكذا؟ فيقول: ليس يحنَث بهٰذا القول، وليس هٰذا إلا لنبيٍّ أو لعالمٍ، فاعرفوا لهم ذلك».

وقال مالك بن أنسٍ: «إنَّ مجالس العلماء تُحتضن بالخشوع والسَّكينة والوقار».

وقد كان مالكٌ ـ رحمه الله ـ إذا أراد أن يُحدِّث توضَّأ وجلس علىٰ صدر فراشه، وسرَّح لحيته، وتمكَّن من جلوسه بوقارٍ وهيبةٍ، ثمَّ حدَّث.

وكان عبد الرَّحمن بن مهديٍّ لا يُتحدَّث في مجلسه، ولا يُبرىٰ فيه قلمٌ، ولا يَتبسَّم فيه أحدٌ.

وكان وكيع بن الجرَّاح في مجلسه كأنَّهم في صلاةٍ.

فعلىٰ طالب العلم أن يعرِف لمجالس العلم حقَّها، فيجلِسَ فيها جِلسة الأدب، ويصغي إلىٰ الشَّيخ ناظرًا إليه لا يلتفت عنه من غير ضرورةٍ، ولا يضطرب لضجَّةٍ يسمعها، ولا يعبَثُ بيديه أو رجليه، ولا يستَنِدُ بحضرة شيخه، ولا يتكئُ علىٰ يده، ولا يُكثر التَّنحنح والحركة، ولا يتكلم مع جاره، وإذا عطس خَفَض صوته، وإذا تثاءب ستر فمه بعد ردِّه جهده.

وينضمُّ إلىٰ توقير مجالس العلم إجلالُ أوعيته التي يُحفظ فيها، وعمادها الكتب، فاللَّائق بطالب العلم: صونُ كتابه، وحفظه وإجلاله، والاعتناء به، فلا يجعله صندوقًا يحشوه بودائعه، ولا يجعله بوقًا، وإذا وضعه وضعه بلطفٍ وعنايةٍ.

رمىٰ إسحاق بن راهَوَيْه يومًا بكتابٍ كان في يده، فرآه أبوعبدالله أحمد ابن حنبل فغضب، وقال: «أهكذا يُفعل بكلام الأبرار؟!».

ولا يتَّكئُ علىٰ الكتاب، أو يضعه عند قدميه، وإذا كان يقرأ فيه علىٰ شيخٍ رفعه عن الأرض وحمله بيديه.

المعقِد السَّابعَ عشرَ
الذَّبُّ عن العلم،
والذَّود عن حِياضه

فإنَّ للعلم حُرمةً وافرةً، توجب الٱنتصارَ له إذا تُعرِّض لجنَابه بما لا يصلحُ.

وقد ظهر هٰذا الٱنتصار عند أهل العلم في مظاهرَ؛ منها: الرَّدُّ علىٰ المخالف، فمن ٱستبانت مخالفته للشَّريعة رُدَّ عليه كائنًا من كان؛ حَمِيَّةً للدِّين، ونصيحةً للمسلمين.

ولم يزلِ النَّاس يردُّ بعضهم علىٰ بعضٍ ـ كما قال الإمام أحمد، لٰكنَّ المرشَّح لذلك هم العلماء لا الدَّهماء، مع لزوم الأدب وترك الجور والظُّلم.

ومنها: هجرُ المبتدعِ المجمعُ عليه ـ كما ذكره أبو يعلىٰ الفرَّاء، فلا يُؤخذ العلم عن أهل البدع، لٰكن إذا ٱضْطُرَّ إليه فلا بأس، كما في الرِّواية عنهم لدىٰ المحدِّثين.

وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيميَّة الحفيد ـ مقرِّرًا أصلًا كبيرًا تَعْظُم الحاجة إليه في أزمنة الجاهليَّة والفتن ـ:

«فإذا تعذَّر إقامة الواجبات من العلم والجهاد وغير ذلك، إلا بمن فيه بدعةٌ مضرَّتُها دون مضرَّة ذلك الواجب، كان تحصيل مصلحة الواجب مع مفسدةٍ مرجوحةٍ خيرًا من العكس».

ومنها: زجر المتعلِّم إذا تعدَّىٰ في بحثه، أو ظهر منه لَدَدٌ أو سوءُ أدبٍ.

كان عبد الرَّحمن بن مهديٍّ إن تحدَّث أحدٌ في مجلسه أو بُري قلمٌ، صاح ولبس نعليه ودخل.

وكان وكيعٌ إذا أنكر من أمر جلسائه شيئًا، انتعل ودخل.

وشوهد هٰذا مرارًا من شيخ شيوخنا محمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ، فكم مرةٍ رُئي منصرفًا لمَّا سمع طالبًا يتشدَّق في مقاله، فأخذ نعليه وانصرف.

وحضر شابٌّ مجلس سفيان الثَّوريِّ، فجعل يترأَّسُ ويتكلَّم ويتكبَّر بالعلم، فغضب سفيان وقال: «لم يكن السَّلف هكذا، لم يكن السَّلف هكذا، كان أحدهم لا يدَّعي الإمامة، ولا يجلس في الصَّدر حتَّىٰ يطلب هٰذا العلم ثلاثين سنةً، وأنت تتكبَّر علىٰ من هو أسنُّ منك! قُم عنِّي، ولا أراك تدنو من مجلسي».

وكان ـ رحمه الله ـ يقول: «إذا رأيت الشَّابَّ يتكلَّم عند المشايخ، وإن كان قد بلغ من العلم مبلغًا، فآيس من خيره؛ فإنَّه قليل الحياء».

وإن ٱحتاج المعلِّم إلىٰ إخراج المتعلِّم من مجلسه؛ زجرًا له، فليفعل كما فعل سفيان، وكما كان يفعله شعبة ـ رحمه الله ـ مع عفَّانَ بن مسلمٍ في درسه.

وقد يُزجر المتعلِّم بعدمِ الإقبال عليه، وتركِ إجابته، فالسُّكوت جوابٌ؛ كما قال الأعمش.

ورأينا هٰذا كثيرًا من جماعةٍ من الشُّيوخ؛ منهم العلامة ابن بازٍ ـ رحمه الله ـ فربَّما سأله سائلٌ عمَّا لا ينفعه، فترك الشَّيخ إجابته، وأمر القارئ أن يواصل قراءته، أو أجابه بخلاف قصده.

المعقِد الثَّامنَ عشرَ
التَّحفُّظ في مسألة العالم

فرارًا من مسائل الشَّغب، وحفظًا لهيبة العالم؛ فإنَّ من السُّؤال ما يُراد به التَّشغيبُ وإيقاظ الفتنة وإشاعة السُّوء، ومن آنس منه العلماء هٰذه المسائل لقي منهم ما لا يُعجبه، كما مرَّ معك في زجر المتعلِّم، فلا بدَّ من التَّحفُّظ في مسألة العالم، ولا يُفلح في تَحَفُّظه فيها إلا من أعمل أربعة أصولٍ:

أوَّلها: الفكر في سؤاله لماذا يسأل؟ فيكون قصده من السُّؤال التَّفقُّه والتَّعلم، لا التَّعنُّت والتَّهكُّم؛ فإنَّ من ساء قصده في سؤاله يُحرم بركةَ العلم، ويُمنع منفعته.

وفي النَّاس من يسأل وله في سؤاله قصدٌ باطنٌ، يريد التَّوصل به إلىٰ مقصودٍ له، فإذا غفل عنه المفتي وأفتاه بما يريد فَرِح به وأشاعه، وإذا تنبَّه إلىٰ قصده حال بينه وبين مرادِه، وزجره عن غيِّه.

قال القرافيُّ ـ رحمه الله تعالىٰ ـ في كتابه «الإحكام»:

«سُئلتُ مرةً عن عقد النِّكاح بالقاهرة، هل يجوز أم لا؟

فارتبت وقلت له ـ أي للسَّائل ـ: ما أفتيك حتىٰ تُبيِّن لي ما المقصود بهٰذا الكلام؛ فإنَّ كلَّ أحدٍ يعلم أنَّ عقد النِّكاح بالقاهرة جائزٌ، فلم أزل به حتَّىٰ قال: إنَّا أردنا أن نعقده خارج القاهرة فمُنعنا؛ لأنَّه ٱستحلالٌ ـ يعني نكاحَ تحليل، وهو نوع من الأنكحة المحرَّمة ـ فجئنا للقاهرة، فقلت له: لا يجوز، لا بالقاهرة ولا بغيرها».

ووقع مثل هٰذا لأبي العبَّاس ابن تيميَّة الحفيد في فتوىٰ تتعلق بأهل الذِّمة، ذكرها تلميذه البارُّ ابن القيِّم ـ رحمه الله تعالىٰ ـ في كتابه «إعلام الموقِّعين»، رُدَّت عليه غير مرَّةٍ في وجهٍ غير الوجه السَّابق لها، فكان يقول: لا يجوز، حتَّىٰ قال في آخر مرَّةٍ: «هي المسألة المُعَيَّنة، وإن خرجت في عِدَّة قوالبَ».

أمَّا الأصل الثَّاني: فالتَّفطُّنُ إلىٰ ما يَسأل عنه، فلا تسأل عمَّا لا نفع فيه؛ إمَّا بالنَّظر إلىٰ حالك، أو بالنَّظر إلىٰ المسألة نفسها.

سأل رجلٌ أحمدَ ابن حنبلٍ عن يأجوجَ ومأجوجَ: أمسلمون هم؟ فقال له: «أحْكَمْتَ العلمَ حتَّىٰ تسأل عن ذا!».

ومثله السُّؤال عمَّا لم يقع، أو ما لا يُحدَّث به كلُّ أحدٍ، وإنَّما يُخصُّ به قومٌ دون قومٍ.

أما الأصل الثَّالث: فالانتباه إلىٰ صلاحية حال الشَّيخ

للإجابة عن سؤاله، فلا يَسأله في حالٍ تمنعه، ككونه مهمومًا، أو متفكِّرًا، أو ماشيًا في طريقٍ، أو راكبًا لسيَّارته، بل يتحيَّنُ طيب نفسه.

قال قتادة ـ رحمه الله ـ: سألت أبا الطُّفيل مسألةً فقال: «إنَّ لكلِّ مقامٍ مقالًا».

وسأل رجلٌ ابنَ المبارك عن حديثٍ وهو يمشي، فقال: «ليس هٰذا من توقير العلم».

وكان عبد الرَّحمن بنُ أبي ليلىٰ يكره أن يُسأل وهو يمشي.

أما الأصل الرَّابع: فتيقُّظ السَّائل إلىٰ كيفيَّة سؤاله، بإخراجه في صورةٍ حسنةٍ متأدِّبةٍ، فيُقدِّم الدُّعاء للشَّيخ ويبجِّله في خطابه، ولا تكون مخاطبته له كمخاطبته أهلَ السُّوق وأخلاطَ العوام.

قال جعفر بن أبي عثمان: كنَّا عند يحيىٰ بن معين، فجاءه رجلٌ مستعجلٌ فقال: يا أبا زكريَّا، حدِّثني بشيءٍ أذكرك به، فقال يحيىٰ: «اذكرني أنَّك سألتني أن أحدِّثك فلم أفعل!».

وإذا تأمَّلتَ السُّؤالاتِ الواردةَ علىٰ أهل العلم اليوم، رأيتَ في كثيرٍ منها سلبَ التَّحفُّظِ وسَفْسَافَ الأدب، فترىٰ من يسأل متهكِّمًا، أو يسأل محتقرًا، يسألون عمَّا لم يقع، أو ما وقع ولا ينفع، لا يتخيَّرون وقت الإيراد المناسب، ولا يتلطَّفون في عرض

المَطَالِب ، فسؤالاتهم مفاتيح الفتن، وأسباب المحن، وويلٌ لهم ممَّا يصنعون!

وما أحوج هٰؤلاء إلىٰ مقالة زيد بن أسلم ـ رحمه الله ـ لمَّا سأله رجلٌ عن شيءٍ فخلَّط عليه، فقال زيد: «اذهب فتعلَّم كيف تسأل، ثم تعالَ فَسَلْ».

وكم هم المحتاجون اليوم إلىٰ مثل مقالة زيد بن أسلم ـ رحمه الله ـ ؟!!

المعقِد التَّاسعَ عشرَ
شَغَفُ القلب بالعلم وَغَلَبَتُه عليه

فصدق الطَّلب له يوجب محبَّته، وتعلُّقَ القلب به، ولا ينال العبدُ درجةَ العلم حتَّىٰ تكون لذَّته الكبرىٰ فيه.

قال ابن القيِّم ـ رحمه الله تعالىٰ ـ في «مفتاح دار السَّعادة»:

«ومن لم يُغَلِّبْ لذَّةَ إدراكه وشهوته علىٰ لذَّةِ جسمه وشهوة نفسه، لم ينل درجة العلم أبدًا».

وإنَّما تُنال لذَّة العلم بثلاثة أمور، ذكرها أبو عبد الله ابن القيِّم ـ رحمه الله ـ في كتابه السَّالف:

أحدِها: بذل الوُسْع والجهد.

وثانيها: صدق الطَّلب.

وثالثِها: صحَّة النِّيَّة والإخلاص.

ولا تتمُّ هٰذه الأمور الثَّلاثة، إلا مع دفع كلِّ ما يُشْغِلُ عن القلب.

ومن سَبَرَ هٰذه اللَّذَّة في أحوال السَّابقين من علماء الأُمَّة، رأىٰ عجبًا، فلسان أحدهم:

مـا لـذَّتـي إلا روايـة مـسـنـدٍ
قـد قُـيِّـدت بـفـصـاحـة الألـفـاظِ

ومـجـالـسٌ فـيـهـا تَـحِـلُّ سـكـيـنـةٌ
ومـذاكـراتُ مـعـاشـرِ الـحـفَّـاظِ

إنَّ لذَّة العلم فوق لذَّة السُّلطان والحكم التي تتطلَّع إليها نفوسٌ كثيرةٌ، وتُبذَل لأجلها أموالٌ وفيرةٌ، وتُسفَك دماءٌ غزيرةٌ.

بات أبو جعفرٍ النَّسفيُّ مهمومًا من ضيق البال، وسوءِ الحال، وكثرةِ العيال، فوقع في خاطره فرعٌ من فروع مذهبه ـ وكان رحمه الله حنفيًّا ـ فأُعجب به، فقام يرقص في داره، ويقول: «أين الملوك وأبناء الملوك؟! أين الملوك وأبناء الملوك؟!».

إذا خـاض فـي بـحـر الـتَّـفـكُّـر خـاطـري
عـلـىٰ دُرَّةٍ مـن مـعـضِـلاتِ الـمـطـالـبِ

حَقَرْتُ ملوك الأرض في نيل ما حَوَوْا
ونِلتُ المنىٰ بالكُتْب لا بالكتائبِ

ولهذا كانت الملوك تتوقُ إلىٰ لذَّة العلم، وتُحِسُّ فقدَها، وتطلُب تحصيلَها.

قيل لأبي جعفرٍ المنصور ـ الخليفةِ العباسيِّ المشهور، الَّذي كانت ممالكه تملأ الشَّرق والغرب ـ: هل بقي من لذَّاتِ الدُّنيا شيءٌ لم تنله؟ فقال ـ وهو مستوٍ علىٰ كرسيِّه وسرير ملكه ـ: «بقيت خَصلةٌ: أن أقعُدَ علىٰ مِصْطَبَةٍ، وحولي أصحاب الحديث ـ أي طلَّاب العلم ـ فيقول المستملي: من ذكرتَ رحمك الله؟»

يعني فيقول: حدَّثنا فلان، قال: حدَّثنا فلان، ويَسُوق الأحاديث المسندة.

فانظر إلىٰ شدَّةِ ٱفتقارِ هذا الخليفةِ إلىٰ لذَّة العلم، وطلبه تحصيلَها، وَجَوعَتَهُ إليها.

ومتىٰ عُمِر القلب بلذَّة العلم سقطت لذَّاتُ العادات، وذهَلَت النَّفسُ عنها، فالنَّضرُ بنُ شُميل يقول: «لا يجد المرء لذَّة العلم حتىٰ يجوع وينسىٰ جوعه».

بل تستحيل الآلامُ لذَّةً بهٰذه اللَّذَّة.

ومحمَّد بن هارون الدِّمشقيُّ يقول:

لمحبرةٌ تُجالسني نهاري
أحبُّ إليَّ من أُنسِ الصَّديقِ
ورُزمةُ كاغَدٍ في البيت عندي
أحبُّ إلي من عَدل الدَّقيقِ

ولـطـمـةُ عـالـمٍ فـي الـخـدِّ مـنِّـي
ألـذُّ لـديَّ مـن شـرب الـرَّحـيـقِ

ولا تعجب؛ فما هٰذه الأحوال إلا مسُّ عشقِ العلم؛ فابن القيِّم يقول في «روضة المحبِّين»:

«وأمَّا عُشَّاق العلم فأعظم شغفًا به وعِشْقًا له من كل عاشقٍ بمعشوقه، وكثيرٌ منهم لا يشغَلُهُ عنه أجملُ صورةٍ من البشر».

فأين هٰذا الشَّغف ـ يا طلَّابَ العلم ـ ممن يُقدِّم حظَّه من عرسه علىٰ حظِّه من درسه؟ ويكون جلوسه إلىٰ السُّمَّار وشيوخ القمراءِ أحبَّ إليه من الجلوس إلىٰ العلماء!، وتقوىٰ عزيمته للتَّنقُّل في الفَلَواتِ، ولا تقوىٰ علىٰ السَّير في نقل المعلومات، وينهض نشيطًا لقنص الطَّير ويرقد كسلًا عن صيد الخير! فما حظُّ هٰؤلاء ـ وكثيرٌ هم ـ ما حظُّهم من تعظيم العلم وقلوبهم مأسورة بمحبة غيره؟!

المعقِد العشرون

حفظ الوقت في العلم

إذا كان العلم أشرفَ مطلوبٍ، والعمر يُطوىٰ كجليدٍ يذوب، فعين العقل حفظ الوقت فيه، والخوف من تقضِّيه بلا فائدة، والسُّؤال عنه يوم القيامة يحملني وإيَّاك علىٰ المبالغة في رعايته.

قال ابن الجوزيِّ ـ رحمه الله ـ في «صيد خاطره»:

«ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه، وقدر وقته، فلا يُضيِّع منه لحظةً في غير قُربةٍ، ويُقدِّم فيه الأفضل فالأفضل من القول والعمل».

ومن هنا عظُمت رعاية العلماء للوقت، حتىٰ قال محمَّد بن عبد الباقي البزَّاز: «ما ضيَّعتُ ساعةً من عمري في لهوٍ أو لعبٍ».

وقال أبو الوفاء ابن عقيل ـ الذي صنَّف كتاب الفنون في ثمانمائة مجلَّدٍ ـ: «إنِّي لا يحِلُّ لي أن أُضيِّعَ ساعةً من عمري».

وبَلَغَتْ بهمُ الحال أن يُقرأ عليهم حال الأكل؛ فلقد كان أحمد بن سليمان البُلقاسيُّ ـ المتوفىٰ عن ثمانية وعشرين سنة ـ

يُقرئ القراءاتِ في حال أكله؛ خوفًا من ضياع وقته في غيرها، فكان أصحابه يقرأون عليه وهو يتناول مأكله ومشربه.

بل كان يُقرأ عليهم وهم في دار الخلاء؛ فكان ابن تيميَّة الجدُّ ـ رحمه الله ـ إذا دخل الخلاء لقضاء حاجةٍ قال لبعض من حوله: «اقرأ في هٰذا الكتاب، وارفع صوتك».

وتجلَّت هٰذه الرِّعاية للوقت عند القوم ـ رحمهم الله ـ في معالمَ عدَّةٍ، لم تبلُغها الحضاراتُ الإنسانيَّة قاطبةً.

منها: كثرة دروسهم؛ فقد كان النَّوويُّ ـ رحمه الله ـ يقرأ كلَّ يومٍ ٱثني عشر درسًا علىٰ مشايخه، والشَّوكانيُّ ـ رحمه الله صاحب «نيل الأوطار» ـ تبلغ دروسه في اليوم واللَّيلة ثلاثة عشر درسًا؛ منها ما يأخذه عن مشايخه، ومنها ما يأخذه عنه تلامذته.

وأربىٰ محمود الآلوسيُّ صاحب التَّفسير عليهم جميعًا، فقد كان يُدرِّس في اليوم أربعة وعشرين درسًا، ولمَّا ٱشتغل بالتَّفسير والإفتاء نقصت إلىٰ ثلاثة عشر درسًا.

ثمَّ رأيتُ في ترجمة محمد بن أبي بكرٍ ابنِ جماعةَ أنَّ دروسه تبلغ في اليوم واللَّيلة نحوَ خمسين درسًا.

ومنها: كثرة مدروساتهم؛ فقد دَرَس ابن التَّبَّان «المدوَّنة»

نحو ألف مرَّةٍ، وربما وُجد في بعض كتب عبَّاسٍ بنِ الفارسيِّ بخطِّه: دَرَسته ألف مرَّةٍ.

وكرَّر غالب بن عبد الرَّحمن المعروف بابن عطيَّة ـ والد صاحب التَّفسير المشهور ـ «صحيحَ البخاريِّ» سبعَمائِة مرَّةٍ.

ومنها: كثرة مكتوباتهم؛ فأحمد بن عبد الدَّائم المقدسيُّ ـ أحد شيوخ العلم من الحنابلة ـ كتب بيده ألفي مجلَّدٍ، ووقع مثله لابن الجوزيِّ.

ومنها: كثرة مقروءاتهم؛ فابن الجوزيِّ ـ رحمه الله ـ طالع وهو بعدُ في الطَّلب عشرين ألف مجلَّدٍ.

ومنها: كثرة شيوخهم؛ فالَّذين جاوز عددُ شيوخهم الألفَ كثيرٌ في هٰذه الأُمَّة، وأعجب ما ذُكر أنَّ أبا سعدٍ السَّمعانيَّ بلغ عددُ شيوخه سبعة آلاف شيخٍ، قال ابن النَّجار في «ذيل تاريخ بغداد»: «وهٰذا شيءٌ لم يبلغه أحد».

ومنها: كثرة مسموعاتهم ومقروءاتهم علىٰ شيوخهم من التَّصانيف المطوَّلة والأجزاء الصَّغيرة؛ فقد تُعَدُّ بالآلاف المؤلَّفة، كما وقع لابن السَّمعانيِّ المذكور وصاحبِهِ ابن عساكر في جماعةٍ آخرين.

ومنها: كثرة مصنَّفاتهم؛ حتىٰ عُدَّت ألفَ مصنَّفٍ لجماعةٍ من

علماء هٰذه الأُمَّة، منهم عبد الملك بن حبيب عالم الأندلس، وأبو الفرج ابن الجوزيِّ.

فاحفظ أيُّها الطَّالب وقتك؛ فلقد أبلغ الوزيرُ الصَّالح ابن هُبيرة في نصحك بقوله:

والوقت أنفسُ ما عُنيتَ بحفظه
وأراه أسهلَ ما عليك يضيعُ

الخاتمة

إلىٰ هنا بلغ القول التَّمام، وحَسُن قطع الكلام بالختام، فيا شُداة العلم وطلَّابه، ويا قُصَّاد الفقه وأربابه، ٱمتثلوا معاقد التَّعظيم، وأنتم تُقبلون علىٰ مقاعد التَّعليم، تجدوا نفعه وتحمَدوا عاقبته، وإيَّاكم والتَّهاونَ بها والعزوفَ عنها؛ فإنَّها مفتاح العلم ومِرقاة الفهم، فبها تُجمع العلوم وتؤصَّل، وبها تُيسَّر الفنون وتحصَّل.

فشمِّروا عن ساعد الجِدِّ، ولا تُشغلوا بمَيعةِ الجَدِّ، واحفظوا ـ رحمكم الله ـ قول أبي عبد الله ابن القيِّم ـ رحمه الله ﷻ ـ:

«طالِبُ النُّفوذِ إلىٰ الله والدَّار الآخرة، بل إلىٰ كل علمٍ وصناعةٍ ورئاسةٍ، بحيث يكون رأسًا في ذلك مقتدًى به فيه = يحتاج أن يكون شجاعًا مقدامًا، حاكمًا علىٰ وَهْمِه، غيرَ مقهورٍ تحت سلطان تخيُّله، زاهدًا في كل ما سوىٰ مطلوبه، عاشقًا لما تَوَجَّه إليه، عارفًا بطريق الوصول إليه، والطُّرق القواطع عنه، مقدامَ الهِمَّة، ثابتَ الجَأش، لا يَثْنيه عن مطلوبه لومُ لائم، ولا عذل عاذلٍ، كثيرَ السُّكون، دائمَ الفكر، غيرَ مائلٍ مع لذَّةِ المدح،

ولا ألم الذَّم، قائمًا بما يحتاج إليه من أسباب معونته، لا تستفِزُّه المعارضات، شعاره الصَّبر، وراحته التَّعب، محبًّا لمكارم الأخلاق، حافظًا لوقته، لا يُخالط النَّاس إلا علىٰ حذرٍ، كالطَّائر الَّذي يلتقط الحَبَّ بينهم، قائمًا علىٰ نفسه بالرَّغبة والرَّهبة، طامعًا في نتائج الاختصاص علىٰ بني جنسه، غيرَ مرسِلٍ شيئًا من حواسِّه عبثًا، ولا مسرِّحًا خواطره في مراتب الكون، ومِلاكُ ذلك هجرُ العوائد، وقطعُ العلائق الحائلةِ بينك وبين المطلوب» انتهىٰ كلامه ـ رحمه الله ـ فما أجمَلَه ذكرىٰ وتبصرةً!!

اللَّهمَّ يسِّرْ لنا تعظيمَ العلم وإجلالَه، واجعلنا ممَّن سعىٰ له كذلك فناله، اللَّهمَّ إنَّا نسألك علمًا نافعًا، ونعوذ بك من علمٍ لا ينفع، اللَّهمَّ علِّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علَّمتنا، وزدنا علمًا وعملًا، اللَّهمَّ اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك، ومن طاعتك ما تُبلِّغنا به جنَّتك، ومن اليقين ما تهوِّن به علينا مصائب الدُّنيا، اللَّهمَّ متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوَّتنا أبدًا ما أحييتنا، واجعله الوارث منَّا، اللَّهمَّ لا تجعلِ الدُّنيا أكبر هَمِّنا، ولا مبلغَ علمنا، ولا إلىٰ النَّار مصيرنا، ولا تسلِّط علينا من لا يخافك فينا ولا يرحمنا.